

الله والغريب

سلامة عيد

أغنية الخريف

لم يزل للحوَرِ أوراقٌ
تغني في الفضاء
راقصاتٍ، حالماتٍ بالبقاء
وغداً يحملها الريحُ، ويذروها الشتاء
فلماذا لا نغني
قبل أن تحمِلنا ربحُ الشتاء؟

=

لم يزل للتحل شوقٌ للزهور
توقظ الفجرَ أغانيه وأسرابَ الطيور
وعلى ألعائنه يغفو الضياء
وغداً يحمله الريح ويذروه الشتاء
فلماذا لا نغني
قبل أن تحملنا ربحُ الشتاء؟!

=

والسنونو لم تزل تمرحُ في الجو اللطيف
لجناحيها حفيف
مثل منديلٍ حريريٍّ إذا هبَّ الهواءُ
ولها كلُّ صباحٍ ومساء
زقزقاتٍ وغناء

وغداً يحملها الريح ويزدورها الشتاء

فلماذا لا نغني

قبل أن تحملنا ريح الشتاء؟

=

وإذا جاء الشتاء، طاب الغناء

فالسواقى مُنشِداً والفضاء

ولأجساد الرياح المسرعات

عَصْبَةٌ حيناً، وأحياناً لحوّن شاديات

وعلى السطح لزخات المطر

مثل أنغام الوتر

فيميس الغاب رِيَّانَ طروب

ويغيضُ البِشْرُ في الكوخ الكئيب

فلماذا لا نغني مثلما تشدو السواقى في الشتاء

ونُغْنِي الرِّيحُ والأمطارُ ألحانَ السماء

بكين - تشرين أول- ١٩٧٢

موشح

أغزالة الوادي ارقصي طربا
إن الذي تخشينه ذهبا
لمّ الشباك وعاد مكتئبا
لمّ الشباك
لمّا رأك
ومضى يجرّ الخطو منتحبا

=

قد كان يأمل أن يراكُ
بين الصنوبر والأراك
قلقا تشد على الشباك
حتى بدّوت.... وكان مرتقبا...
وتلقّت الجيد الجميل
وتطلّع الطرف الكحيل
فإذا الفؤاد هو القتيل....

=

بالله لا تجهز على كبدي
هذي الشباك رفعتها بيدي
وامسح جراحاتي ببسمة غافر
يا ساحري وارحم فؤاد الشاعر
إن شئته مترهّبا
أو شئته مترقبا
أو شئت أن تحنو عليه فمرحبا

الربيع والغريب

عادت لأعشاشها السنونو= ونور الزهر في الغصون

وطلقت قيدها السواقي= صدّاحةً عذبةً اللحون

وعادت الأرض والسماء= تميس بالسحر والفتون

وأنت يا خافقا معنّى= يا شاعرا شقّه الحنين

يا نائياً سيربّه بعيداً= ودوّحهُ لَفّه السكون

ربيعك الطلق والشتاء= سيّان في قلبك الحزين

العودة من الحقول

الغيم في الأفق البعيدِ

ينساب في لون الورودِ

والطيرُ أغفى، والنجومُ

تُطلُّ في حذر شديد

ومن الحقول تعود أسرابُ الصبايا والشبابِ

والقبعات مزيّباتٌ بالزهور وبالتراب

يتحدّثون ويبسمون

ورأيتُ شيخاً لم يزل

يحنو، ويغرّفُ بالدلاءِ

فسألتُهُ ماذا عليك

لو استرحتَ مع المساءِ ؟

فأجاب، والقدمان ترتجفان من ثقلِ الدلاءِ

أهلي سَقَوْا أرضي دماً

وأنا أرويها بماءٍ

أغنية المطر

مثلما تغرك، يا أرضُ
طروبٌ، يتبسّمُ
لأناشيد المطر
وغصونُ الروض
بالأنسام تحلم
وعناقيد الزّهر
هكذا قلبي يغنّي
لأناشيد المطر
فأنا يا أرض منكِ
وإليك.....
لم أعد أحيا غريباً
فهنا، أهلي البناءُ الكادحون
حملوا المعول في كفِّ
وكفِّ في الزنادُ
وهناك.....
تبسّمُ الأرضُ لقومي الكادحين
حملوا المعول في كفِّ
وكفِّ في الضمادُ
فمتى تشفى الجراح؟
ويغنّي في يد الشعب السلاح؟
لست أدري

الحلم

أَفَقْتُ فِي الصَّبَاحِ
مِنْ حُلْمٍ جَمِيلٍ
أَحْلَى مِنْ الصَّبَاحِ

رَأَيْتُ فِي الْأَحْلَامِ
بَحِيرَةً حَسَنَاءَ
تَغْمِرُهَا الْأَنْوَارُ وَالْأَلْوَانُ وَالطَّرْبُ
وَأَلْفُ أَلْفِ زَهْرَةٍ
مِنْ "لُوتْسِي" عَجَبُ
أُورَاقِهَا ذَهَبُ
وَقَلْبُهَا لَهَبُ
وَالجِسْرَ وَالضَفَافُ
تَضجُ بِالهِتَافِ
بِالرَّقْصِ، بِالغِنَاءِ، بِالطَبُولِ، بِالصَنُوجِ
بِرَبَّةِ الوَتْرِ
وَأَلْفِ شَلَالٍ مِنَ الضِّيَاءِ
تَهْوِي مِنَ السَّمَاءِ
فَهَلْ يَعُودُ الحُلْمُ الجَمِيلُ؟
قَدْ لَا يَعُودُ
لِأَنَّهُ حُلْمٌ...

خانتشو - ١٩٦٦

في البحيرة الغربية

أيتها البحيرة الرائعةُ الجمالُ

ما زلتِ تذكّرين

مواكبَ الطغاة والغزاةُ

ترفل بالحريزُ

وتنثر العطورُ وتشرب الخمرُ

وتملأ الضفافُ

بماجن الهتافُ

وكانت البحيرة الرائعة الجمال

جاريةً نائمةً تُباع للغريب

أنينها في سمعه

أنشودةُ الطيورُ

ودمعُها في كاسِه

صافيةُ الخمر

واليومَ تُنشدِين

أيتها البحيرة الرائعة الجمال

أنشودة الطَّفَرُ

فترقص الغصونُ والطيورُ والزَّهَرُ

وتبسم النجوم والقمرُ.....

لكنني أقرأُ في عينيك

في ارتعاشِكِ الخفيفُ

مرارة الماضي وذكراهُ

=

لا تجزعي

لن يرجع الماضي

حطمه الفجر

خانتشو - ١٩٦٦

من وحي الخليج .. وقد كتبها للإمارات العربية المتحدة.

من وحي الخليج

قالت: كفاك مشرِّقاً ومغرِّباً=وارحم، فقد تعب الجناح وأتعبا
حتّام تقتحم الفضاء محوِّماً=وترود قاصية البلاد مجوِّبا
يطوي الشراعَ السندبادُ وأنت لا=أوما سئمت تشرِّقاً وتغرِّبا؟

عبثت بمفرقك الثلوج نذيرة=وخبا الشعاع بناظريك وما خبا
لا تعذلي، فالشيب فجر مشرقٌ=يحلو بطلعته البهية غيها
والثلج إن يعصف فتحت ردائه=نفس الربيع مبشراً ومرحّباً
والنسر إن طالت به أيامه=ما ازداد إلا عزة وتصلبا
فإذا الفضاء الرحب ضاق بعزمه=وطموحه قصد الفضاء الأرحبا

واليوم تنعم بالخليج جوانحي=فأخاله حلماً ألدُّ وأعذبا
من لفنة الطبي الغرير جماله=ومضاؤه حد الاسنة و الطبي
أسطورة صاغ الخيال فنونها=لكنها جاءت أحبُّ وأعجبا
ولدت كميلاد الضياء من الدجى=ونمت كما تنمو الأزاهر في الربى
كست الصحارى بالظلال وبالندى=فترنحت فيها نسيمات الصبا
وترنمت فيها الطيور شجيّة=وشدا لها الموج الرشيق فأطربا
حسدت نجوم الليل سحر ضيائها=وتململت غيرى اللآلئ في الخبا

عفواً إذا ما زرت شطك عابرا=وتركت خلفي شاطئا متخضّبا
رفعوه مشعال الحضارة فارتمى=لها فاحرق واستباح وعدّبا
أدمى بكبوته القلوب، وإنما=يبقى الجواد هو الجواد، وإن كبا
وتركت بارقة السلام مربية=خلفي، وجوّاً غائماً متقلّبا
لولا الرجاء لكاد يختنق الرجا=ولضيّعت أحفاد يعرب يعربا
شطّي هناك تثلمت أسواره=ورجاي أن يبقى بناؤك أصلبا

إن كان تسليمي الوداع فخاطري=سيظلُّ يدكّر اللقاء الطيّبا
ويظل يشتاق الخليج وربعه=شوق المشيب إلى الصبا والصبا
ويظل بالوطن الحبيب تعلّقي=أنّى اتجهت مشرقاً ومغرباً
(الامارات العربية المتحدة ١٩٧٧)

أغنية إلى بيونغ يانغ

حملتُ إليك

عبير الشأمِ

وورد الشأمِ

دماء الشهيد على شفثيه

ودمع اليتيم على وجنتيه

=

ومن خيمة اللاجئين
حملت الحنين
وأنشودة العائدين
ومن أرضنا في بلاد الجنوب
حملت الطيوب
وآمالَ شعب عريق عريق
يقدُّ بكفِّه شوكة الطريق
ويزهو بـمـاضٍ تليد
وفجرٍ وليد

=

ومن أرض افريقيا العربية
حملت التحية
حملت إليك التحية
لبوابة المشرق الساهرة
وراية ثورته الظاهرة

=

وإنّا
وإن فرقتنا الجبال السحيقة
وماء البحار العميقة
يوحدنا هدفٌ رائد
ويجمعنا خندقٌ واحد

=

وإنّا

وإن خضبت بالدماء الدروبَ
يُدُّ غاصبة
فإنَّنا لنعرف أن الشعوب
هي الغالبة
وأن الشعوب
إذا اتَّحدت في طريق الكفاح
وهزت بوجه الطغاة السلاح
فأتى لتيارها أن يُصدَّ
وأتى لآمالها أن تُحدَّ

في شاوشان

القريةُ الصغيرة العتيقة الدروب
حيث رأى الضياءُ
من مجَّد الضياء
وشع كالضياء

لاحت

فلا ابتسامُها

زهوٌ ولا غرورٌ

وديعة كزهرةٍ

طيبة العبيرِ

=

يا قرية الزعيمِ

لعل من هذي الرُّبا

وليذكُك العظيمِ

تعلم ابتسامة الزَّهرِ

وأشرقَت في قلبه

بشائرُ الصباح

والظَّفَرِ

وفي غدٍ تحملنا

أجنحةُ الرياحِ

لأرضنا، لأهلنا

ساحة الكفاحِ

وليس في فؤادنا

منها سوى التذكارِ

=

وحبذا التذكارُ
شرارة من نارُ
تُحرقُ في لهيبها الظلامُ
وتوقظُ النيامُ

حمامة السلام

عادت إلى فيتنام
يا أحبتي
حمامةُ السلام
في فمها

غصنٌ من الزيتون
لَمَّا تزلُّ أوراقُهُ
يصبغها البارود والدخانُ
تلفحها النيران
تقطر من ضلوعها
الدماء والدموع والأحزان
حمامة بيضاء
ترف بين الأرض والسما
ترمي إلى الجموع
بالبراعم الوليدة
فتبسم الجموع
للبشائر الجديدة
لكنها ابتسامة المرحّب المرتاب...
عادت إلى فيتنام
يا أحبّتي
حمامة السلام
حمامة بيضاء
ترف بين الأرض والسما
سألْتُها:

متى؟ متى؟

أراك في الوطن؟

في منبت الزيتون

يا حمامة....

في قبة الصخرة

في كنيسة القيامة

قالت:

أنا حمامة الطوفان

لا أقطف الزيتون

إن لم يغرق الزيتون

في الطوفان....

طوفانكم

لما يزل يلامس الفروع

وعندما بلادكم

تغرق بالدماء كفيتنام

ويزحف الرجال كالرجال في فيتنام

وتنهض النساء كالنساء في فيتنام

وعندما تغرق في الطوفان

بقيّة العروش والأنصابِ والتيجان

وتختفي القيود والحدودُ
وتولد الحياة من جديد
عندئذ أعود
حاملة غصنا من الزيتون
يصبغه البارود والدخان
تقطر من ضلوعه
الدماء، والدموع، والأحزان....

بكين ١٩٧٣/١/٢٩

صلاة الكهّان

جئنا إليك، إليكِ
يا معابدَ الذهبِ
نخلع في صحرائك الرحيبه
نعالنا الخضيبه

نسير فوق الجمر

في شمسٍ بلا حجاب

كأنها سبيكة من معدن مذاب

رؤوسنا حاسرة

أقدامنا عارية

وزادنا الرمال والسراب

=

جئنا إليك، إليك

يا معابد الذهب

نحرق في محرابك الدماء والدموع

لا العود والشموع

نجئو على أقدامنا

لآلهات النفط في الصحراء

نردّد الصلاة والرجاء

لتصنعي من نפטك الرهيب

سوراً من الدخان واللهيب

يصد عن "عروشنا" مخالف التّين

ويخنق التمرد الجنين.....

=

جئنا إليك، إليك

يا معابد الذهب

تحرّكت في أرضنا عزائم الرجال

ونخوة الرجال.....

تريد أن تحمل في أكفها البنادق

وترفض البقاء في الخنادق

تريد أن تشارك

تريد أن تُجدّد المعارك

طوفانهم لا يعرف الحدود

قد يهدمُ السدود

وتغرقين يا معابد الذهب

في موجةٍ من لاهبِ الغضب

وتنطفي أسطورة الرّبّان والمنارة

وتسقط الأقنعة المُعارة....

=

صلاّتنا استغفار

وحجّنا إنذار

يا معابد الذهب!..

السر الكبير

من وحي الصين ١٩٦٦

"اطلب العلم ولو في الصين"

أوصانا النبيّ العربيّ

فأتينا ورأينا....

وعَلِمْنَا أَنَّ هَٰذِي الْأَرْضَ لَيْسَتْ لِلْفَنَاءِ

إِنَّهَا لَيْسَتْ "كَبَيْتِ نَسِجَتِهِ عَنكَبُوتٍ"

"كُلُّ مَا فِيهَا سَيَفْنِي عَنْ قَرِيبٍ وَيَمُوتُ"

هِيَ أُمَّ، وَهِيَ جَنَّةٌ

وَلَهَا مَنَّا الرِّعَايَةَ وَالْعِنَايَةَ...

=

وَعَلِمْنَا أَنَّ لِلْإِنْسَانَ فِي الْأَرْضِ السِّيَادَةَ

وَلَهُ حَقُّ الْإِرَادَةِ

لَمْ يَعُدْ بِالْخَيْطِ مَشْدُوداً بِكَفِّ الْقَدْرِ

خَائِفاً مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ، ذَلِيلًا، يَتَضَرَّعُ...

=

غَيْرَ أَنَّا مَا عَلِمْنَا

أَيَّ سِحْرِ وَحَدِّ الشَّعْبِ الْكَبِيرِ

أَيَّ سِرِّ؟

أَهْ، لَوْ أَحْمَلُهُ يَوْمًا إِلَى أَرْضِ الْعَرُوبَةِ...

فَأَرَى شَعْبِي شَعْبًا

وَاحِدًا لَا أَلْفَ شَعْبٍ

وَأَرَى دَرَبِي دَرَبًا

واحداً لا ألف درب

وأرى ربِّي ربا

واحداً لا ألف رب

قصيدة إلى صديق صيني

أيها القادم من أرض بعيدة، وسعيدة

حيث يمضي الشعب، كلُّ الشعب بيني وبغني

حيث تجلو الليلَ بسمةً
ويصوغ الحبُّ والإيمان بالإنسان. أمةً
أيها الزارع في الدنيا سلاماً، وكلاماً
والذي تحمل في كفيك درعا وحساماً
هل ترى مثلي على أرض العروبة
ظلمة الليل الرهيبة
حيث يغفو الشعبُ مزهُوًّا بأمجادِ القبور
حالماً في عالم الغيب بجنات وأنهارٍ وحُور
وهو في الأرض ممزَّق
وبأوهامٍ معلق
وإذا فتَّح عينيه على الأرض اليباب
سكَّرت عيناهُ من خمر السراب
وتناسى في يد البغي قيادةً
وارتمى يستعذب الرملَ وسادةً
وإذا دمدمَ كالإعصار، حيناً بعد حين
ضاع كالإعصار لم يترك سوى رجع الأنين!....
أيها القادم من أرض بعيدة، وسعيدة
حيث يبدو الفجر قبل الفجر في أرض بلادي
ويغوحُّ الأملُ الأخضر في دنيا البوادي

إن تكن كَفَّكَ في كَفِي على درب النضالِ

ويبَدِّد مشرق الشمس الليالي

نزرع الأرض سلاماً، وابتساماً

الربيع في الجولان

سيرج الربيع للجولانِ

من جديدُ

وترجع الطيور

للغابة القديمة

تبحث عن أعشاشها الحطيمة

وترجع الزهور

تبحث عن فراشة شريفة

ونحلة طريفة

وترجع الصغيرة اليتيمة

تسائل السفوح والحقول والبيادر

عن والدٍ وأخوة ظلوا بلا مقابر

مرّت على أشلائهم كتائبُ الحديد

فدمّرت أشلاؤهم كتائبَ الحديد

وانتصر الشهيد

لأنه لم ينتظر أوامر الهزيمة

وعندما ستنحني الصغيرة اليتيمة

لتقطفَ الزهور

وتنثر الزهور في المقابر

أو ما تظن أنها مقابر

ستهتف الأطيّار والأشجار والصخور

في الجولان:

لا تلمسي الزهور في الجولان

يا صغيرة
فكلها دماء
جذورها دماء
أوراقها دماء.....
وعطرها دماء

بكين - ربيع ١٩٧٤

التيه والخيام

تستهدف الغارات الجوية الغادرة على مخيمات اللاجئين
اجتثاث تلك الخيام لاستئصال شعب يطالب بالعودة إلى
حقه وداره.... ولكن....

توهّجني، يا نارُ في الخيامِ
وزمجري، يا ريح في الخيام
لن تُحَرِّقَ الخيام
لن تُقلَعِ الخيام
منابتُ الإباءَ والبطولةَ الخيام
كم خالدٍ أطلَّ من مضارب الخيام
وكم صلاحٍ قصرُهُ
القِبابُ والخيام

=

بالأمس كان تيهكُمُ
واليومَ جاء دورنا
في تيهنا الطويلِ
سنشربُ الدموع
والرمالَ والسراب
وعندما نجوع
سنلحق الجراح كالذئاب
ونأكل الضعيفَ والمهزوم، كالذئاب
ومثلها نبيتُ في العراء
إن أغرقت خيامنا الدماء

=

ليس لنا في تيهنا
سحابةً من نار
ترمقها مواكبٌ
أرهقها الملل
ومات في عيونها الأمل
وإنما من دمنا
على دروبنا الطوال
بهمة الرجال
منارة

أقدامها في خيمة العراء
ورأسها في خيمة السماء

=

يا أرضُ
يا منابتَ الزيتونِ
يا ملاعبَ الحمامِ
يا أنشودة السلام
إن تخضب الدماء والدخان
وتمضغ النيران

مضارب الخيام

فإننا....

من هذه الخيام

سنصنع الرايات

لاستعادة السلام

بكين ١٩٧٢

رسالة إلى ولدي

من بكين إلى ولدي عامر

إثر أخبار الغارة الجوية الغادرة على بلدتنا السويداء....

يا بني، رأيت النارَ لاهبَةً تفرُّ إلى السماء

ورأيتَ أعمدة الدخان، تموج في كبد السماء

مصبوغةً بدم النساء

بدم النساء الحانيات على رضيع في السرير

ورأيتَ أشلاءَ السرير

تغيَّبُ في السُّحْبِ الرهيبِ

النارُ تحرقها، وتذروها على الدار الكئيبة

=

وسمعتَ دمدمة المدافع والقنابل في المدينة

وكأنَّما البركان عاد يفجِّر النار الدفينة

ناراً تؤججها الضغينة

=

وعلمتُ أنك قد رجفتَ

وأن جفنك لا ينامُ

ماذا يقول اللاجئون

وبيئهم مزقُ الخيام
أطفالهم لا يرجفونُ
بل يجمعون أكفَّهُم.....
ويهددون

=

كنا صغارا، يا بُنيَّ
نعيش في لهبِ المعامعُ
الجوُّ يمطرنا لهيباً
والبنادقُ والمدافعُ
كنا نسميها الغزاةُ
ونقول أقبلت الغزاةُ
بين طيات الغمام
وكأنها طير الحمام
لم نرتجف يوماً
ونحن الصامدون الظافرون
ولعلكم لا ترجفون

=

يا بني، دروبُ النار
ما زالت مزجرةً طويلةً

ستظل تحرقنا
وتأكلنا قتيلاً أو قتيلاً
حتى تروّبها سحائبُ من دماءِ الثائرين
والغادرين
القاعدين على الخزائن والذخائر والسلاح
يدعون للثوار بالنصر المؤزّر في الكفاح....
=

اعرفْ عدوك يا بُنيّ:
الشاربون دماءَ شعبك
يا بُنيّ هم الغزاة
والبائعون دماءَ شعبك
يا بُنيّ هم الجناة

بكين-١٢/١٢/١٩٧٢

توفي الدكتور المهندس عامر سلامة عبيد
إثر حادث مفجع بعد رحيل والده

الندم الكبير

(في رثاء عبد الناصر)

بقلوب باكيات....

ودموع داميات.. شيعوك

بنشيج.. بذهول... بنحيب...

بعويل الأمهات الثاكلات...

والعذارى الوالهات....

عندما تغمض كف الموت أجفان الحبيب...

ودعوك....

حملوا نعشك موجاً من أكفٍ راجفة

وملايين القلوب النازفة...

مادت الأرض كما كانت تميد

مثلما كانت تميد

عندما كان "جمال"

مشرق الوجه تحييه الرجال

ويحييها "جمال"

فيحيل الظلمة النكراء فجراً

ورماد العزم جمراً...

والأعاصير رياحاً وجناحاً

وشراعاً، كلما مزقه مخلب إعصار مدمر
رُفعته انمل الربان بالجفن القريح
وخيوط من ضيا العينين والقلب الذبيح
وبحيل الآهة الخرسا، زئيراً ودويّاً
وهتافاً عربياً وحدويّاً
والجراحات وروداً تبتسم
ورحيق الكأس في ثعر الغزاة الهوج علقم
=

لم تعد أسطورة النسر الذي حطّم صدره
ورمى القلب المدمى لفراخه
لم تعد نسج خيال
بعد أن أهدى "جمال"
قلبه الدّامي المقرّح
لجماهير مهيضات الجناح
لم تزل تحبو على درب الكفاح
=

أيها الراحل عنا فوق بحر من دموع يترجرج
وقلوب ذائبات كشموع تتوهج
ونشيج، ونحيب، وذهول، وعويل

ومناديل بليلات تموج

وورود تغمر الأجواء حزناً وأريج

فرشوا دربك، درب النعش ورداً وحريراً ومدامع

وعلى لحن المدافع

ودّعوك...

ونسوا أنك لم تعرف طريقاً من ورود أو حرير

عندما كنت تسير

في دروب من قتاد

زرع الأعداء بعضه

وزرعنا نحن بعضه

=

أيّها الراحل عنا

فوق بحر من دموع يترجرج

إنه الشعب الذي يبكي عليك

وأنا أبكي مع الشعب عليك

وعلى الشعب الذي قد ضيّعك

إنني أبكي معك...

يا مسيحاً صلبوا بالأمس روحه

ثم عادوا يغمرون اليوم بالدمع ضريحه

لن أضل الطريق

لن أضل الطريق والحقُّ بادي=في جيني والنورُ ملءُ فؤادي
والمنارات من دماء الضحايا=مشرقات على الدروب هوادي
فاعصفي يا رياحُ من كلِّ فَجٍّ=وانتشر يا ضبابُ في كلِّ وادي
وليظن السرابُ أنّا خُدِعنا=فنأنتُ واحةٌ وأرهق صادي
وليكن للرمال بعض اعتزازٍ=أنّها أوهنت صدورَ الجياد
سوف أمضي، ولن أضل طريقِي=وسأحيا في جنّةٍ من عنادي

=

دَبَلَّ الورد وازدهى الشوكُ تيهًا=وتوالت بعد الرياض البوادي
وتغنّت جنادب القفر لَمّا=أسكتت لفحةُ الهجير الشوادي
وتمادى الذئاب، والليث ناءٍ=والشبولُ الأباة في الأصفاذ
ورمى بالسهم من كان دِرْعاً=وعدا صاحبٌ وأجهز فادي
وأحالوا "فرعون" من كان "موسى"=في بلادي، وارحمتا لبلادي!
إن يتيهوا فلن أضل طريقِي=ويقيني بالحقِّ والشعبِ زادي

=

كثر المُرْجفون باسمك يا شعبُ= وضاقت بالأوصياء النوادي
وتباكى على مصيرك باغٍ= ورثى غاصب وأشققَ عادي
وأباحوا حرية القول شَتْمًا= وافتراءً من حاقد متمادي
ناصرٍ مباحثيٍّ عميلٍ= كلُّ داع لوحدة واتحاد
قابضٌ كل كافرٍ بانفصالٍ= مُرْجِعٌ شعبه إلى استعباد

=

أيها المُرْجفون إن كان صدقاً= ما تشيعون عن (عهود الفساد)
عن سجون الأحرار عن رهبة السوط عن المستبد والجلاد
فاسألوا الشعب إن يكن عهدكم أشهى وأولى من غيره بالقياد
اسألوه إن كان قد بلغ الرشد نظيف اليدين حر الفؤاد
اسألوه فقد يقول لكم طوبى ومرحى للسادة الأمجاد!
إن (ديغول) لم يرضَ على شعبي= بحق المصير بعد العناد
أعجميِّ ابرُّ منكم وأوفى= أيها الغارقون في الأحقاد
لن أضل الطريق، يومٌ ويمضي= والحساب العسير بالمرصاد

=

ناصرٌ مرهبُ الشأم= فهاتوا ارحم الأولياء من بغداد
مَنْ إذا داس نملَةً ما تأدَّت= زاهدٌ عابدٌ طويل السهاد
أبدع السَّحل رَحْمَةً بالضحايا= بعد أن منظر الأعواد
بايعوه فقد يرد جميلاً= لأياي حجاجكم وزباد
واجهروا بالمواء حيناً وحيناً= بزئير الضياغم الآساد
أبقومي تُغررون؟ وقومي= مشعل في يدي مسيح وهادي
كلما دمدمت عليه الأعاصير= تمادى في ثورة واتقاد
لست منه إذا ضللتُ طريقي= لست من أخوتي ومن أجنادي
أيها المذُلجون عودوا إلى الشعب= فنبع الضياء غير الرماد
إن تعودوا فرب كفٍ خضيبٍ= كَفَّرت عن جراحها بالضماد

وإذا شئتم الطراد فإننا = قد وُلدنا على ظهور الجياد

دمشق ١٩٦٢/٧/٥ ديوان " الله والغريب "

درب الإياب

(العودة إلى مسقط الرأس في ظروف صعبة اختلطت فيها المعايير والألوان)

أعود فقد أعود إلى الشباب = وتشدو بعد أن بُحَّت رباي
وتغتفر المنابر طول صمتي = وضّني بالقريض وبالخطاب
وإيماني بأن اللحن أشهى = إذا غنته مُشْرَعَةُ الحراب
تُعَيِّرُنَا بآثا جيل عارٍ = وأنا جيل أحلام كذاب
وإنّا في مسيرتنا حيارى = قطع في متاهات رحاب
بلا درب زهيم ولا دليل = فيسلمنا السراب إلى السراب
رويدك لا تلم شعبي، فشعبي = أصيل لا يذك ولا يحابي
وعزّ البيض سيف يعربي = يمانٍ أو شاميّ النصاب
وعزّ الخيل في الهيجا سبوح = من الجرد المطهّمة العراب
تلقت كيف شئت فليست تلقى = سوى أسدٍ وأشبالٍ غضاب
وأرهب ما تكون الأسد إمّا = تململ في الجراحات الرغاب

أعود إلى الروابي السمر أشدو = وبني شوق المشيب إلى الشباب
ولكنّي أخال أرى ضباباً = وأشباحاً تُوسّوسُ في الضباب
فيهمس مُرَجَفٌ ويُشيع غرٌّ = ويرتزق المنافق والمحابي
ويسألني الصديق وكان أولى = به لو راح يجهر بالجواب
ألم يسمع بزغردة "النشامي" = تجلجل بين لاهبة الروابي
ألم يلمس حطام الغزو يُذرى = رمادا في السفوح وفي الشعاب
ألم يشهد بيارقهم ثقلاً = مخضبة ترف على السحاب
ألم ينشق دم الشهداء عطراً = من الصخر المضمخ والتراب

=

مَشِينَا والدم المعطار = بني منارات على درب الإياب
ونحنُ الثأر نُرضعُه لباناً = ونُدركه بأسياف خضاب
ونحن النصر نعرفه صديقاً = وفيّاً يوم تصفية الحساب

١٩٦٩/٢/٢

من وحي بغداد

جَفَوْتُ يا دار السّلام السّلام= إنْ كان يرضى في الهوان المقامُ
ولا أرى الحمام رمزاً له= ومخلب الشاهين يُذمي الحمام
وأرضنا يزهو بها غاصب= وشعبنا يئنّ تحت الخيام
والكبرُ يعلو هامةً المعتدي= وكفّه خضيبه والحسام
بغداد طالت درب آلامنا= في الشوك في ليل رهيب الظلام
يبدو به الفجر ولكّته= سرعان ما يربّد خلف القتام
أستاره من صنع أسيادنا= متوجّج أو غاصب أو إمام
دُمى بكف البغي تحريكها= وتدّعي بأنّها لا تضام
أرهقنا الغرب ولكنهم= كانوا له الخف وكانوا السّنام
بغداد لا درب لنا يُرتجى= إن ظلّ مسدوداً بذاك الرّكام
تموز كان السابق المرتجى= لكنما جار عليه اللجام
بغداد إن غنّيتُ لحن الأسى= وجفّ في ثغري نشيد السّلام
لا أشتكي لكنني شاعر= يشدو فقد يوقظ بعض النيام

(أواخر عام ١٩٦٦)

في ذكرى الشهيد

(إلى روح أخي الأصغر الشهيد النقيب كمال علي عبّيد الذي استشهد بطلاً كريماً في الخط الأمامي في
ساحة الشرف في السابع من تشرين الأول ١٩٧٢ والذي ظلّ بلا قبر... وإلى روح أخيه البكر نايف الذي كان
قد استشهد بطلاً كريماً في الخط الأمامي في ساحة الشرف في ٢٥ نيسان ١٩٣٦ الذي ظل أيضاً بلا
قبر....)

ذكراك في كبدي أمر وأعذب=طيبٌ يفوح، وخاطر يتعدّب

شرفٌ يُعصّب بالكواكب مفريقي=فأحسها جمرأً يذّيب ويلهبُ

لا مقلة الخنساء أجودُ مدمعا=أبدأً ولا صخرٌ أعزّ وأغلبُ

لكن أنات الرجال عزيزة=ودموعهم بين الكواكب تُسكبُ

إن ولولت هوج المنون تهلّوا=وإذا تعانقت السيوف تطرّبا

=

ولقد حبوّت على الجراح مكابرا=فحملتها والريش رخصٌ أزغبُ

ونثرت في وجه النجوم خضابها=فتمتّ على راياتها تتوثّبُ

فإذا الدروب مشاعلٌ ومواكبٌ=والنصر وضاح الجبين مرّحّب

=

واليوم نازفة الجراح تعودني=نجلاء في جمراتها أتقلبُ

فإذا بكيتُ فما بكينك عاجزاً=ولو انني دامي القوادم اشّيبُ

لي في نداء الثأر مولد همّة=شمّاء يذكّيها التراث الطيب

من كل خواض المعامع باسماء=يهب الحياة بني أبيه ويوهب

أكفانه بيض السحائب والندى=ووساده صدر الفضاء الأرحب

=

ولقد تساءلني وطيفك عاتبٌ=حتّام يحتمل المذلة يعرب
وذوو الجلالة يرددون غواضبا=لكن برقهم وميض خلبٌ
شادوا المنابر من جماجم إخوتي=فتنمروا من فوقها وتثعلبوا
صاغوا الدماء مباحرا فتطيبوا=بعبيرها وتطيبوا وتكسبوا
سكنت مدافعهم وطال وعيدهم=وتشعبت غاياتهم فتشعبوا
هتفوا لجلاد الشعوب ونابه=لما تزل بدمائنا تتخضبٌ
وعلى رقاب الثاكليين تدافعت=أقدام موكبه وُزف الموكبُ

*=**

عفواً إذا الجولان خف دويّه=وتناءبت سينا وبان المغربُ
فلكم تفجّر في السكينة عاصفٌ=ولكم تبدد في الصوارم غيهب
وإذا اشتكى الجرحُ الرغيبُ=فإتّه حقدٌ يفور وثائر يتوثب

(تشرين الأول ١٩٧٤)

غيرنا تحطم الخطوب جناحيه

(ألقيت في تأبين سيادة الرئيس عبد الناصر

بالقاهرة ١١/٧/١٩٧٠)

لم يزل في قلوبنا والضمائر= مشرقاً وجهه ناصر واسم ناصر
للتراب التراب والروح تبقى= مثل ترنيمه على ثغر شاعر

=

فإذا فرّت الدموع الدوامي= محرقات أكفنا والمحاجر
وإذا ماجت الخطى راجفات= واكتوت أضلع وبحت حناجر
فالتأسي والصبر من شيم العرب= ولكن في غير ماتم ناصر

=

مأتم لا بل مهرجان زحوف= وحدثها مشاعر ومصائر
كلما غيب الردى في حماها= ثائراً أنبت الحمى ألف ثائر
ظفر الموت بالدموع ولكن= ظلّ عن عزمنا المكابر قاصر
نحن من صير الجراح وروداً= باسمات معطرات نواضر

وأحال الأئين رجح حداء=تنتشي منه بيدنا والحواضر
وسياط الخطوب وثبة حرّ=مثلما تهمز الكماة الضوامر
تيهنا لن يطول إتا زرعناه=صوى من دماننا ومنائر
مشرقات من الخليج إلى النيل=إلى غيب المحيط الهادر
راسمات درب الخلاص المرجى=ملهبات مشاعلاً ومشاعر
تهتدي كل أمة، كل شعب=بسناها ويقتدي كل حائر
مزق الغرب أمتي فهي أشلاء=وأعمى ضمائراً وبصائر
والغأ في نجيعنا، يتمطى=ضاحكاً من عنادنا المر ساخر
كالحأ راعف النيوب، ولكن=منسماه منّا ومن الأظافر
قلمتها في بعض أرضي أكفّ=زارعات درب النضال بشائر
طرقت قيدها القديم دروعاً=سابغات ومرهفات بوائر
وأعدت إلى الحياة بقايا=أمل شاحب وشلو مكابر
مثلما يطرب المنار سفيناً=مثلما يبعث الربيع الأزاهر

=

حملتني الشام يا نيل حباً=وحنيناً وذكريات زواخر
وسلاماً يemor بالحزن والطيب=كأنفاس عودها في المجامر
خذه يا نيل نبضة من فؤادي=لا نشيداً على متون المنابر
ولئن طال عهدنا بالتلاقي=فلقد ترهق الحداة الهواجر

=

للوفا الشام للعروبة تحيا=للسالات، للندي، للمائر
بغصون الزيتون تلقى الأحياء=وبالمرهفات... كل مغامر
يتغنى الحمام بالسلم فيها=فإذا غيل فالبزاة كواسر
غسلت بالدماء خطيئة أيلول=وقدت بالسيف أحلام غادر
وتعالى لحن الفدا في رباها=والفدا من تراثها والشعائر
فالزغاريد للشهيد رثاء=في تقايدها وهزّ الخناجر

ودويّ البارود ينفث حقدًا=إذ تغني عرس الشباب الحرائر
ويزين الصغار ومضّ فخار=واعترازٍ بأنهم نسلٌ نائر

=

عفو عينيك إن مسحنا المآقي=يا أبا خالدٍ وصّنا مشاعر
وأعدنا راياتنا خافقات=ومشينا على الجراح نكابر
غيرنا تحطيم الخطوب جناحيه=فيهوي يجرّ الخطو صاغر
وسوانا إذا النهار تولى=سمّرته غياهب ودياجر
للتحدي وللخلود خلقنا=كلّما ماتَ ناصر قام ناصر

رجاء

(رجاء إلى الممرضة لتجعل سريري
متّجهاً نحو النافذة، نحو الفضاء...)

لا تحرميني رؤية السماء

أحبُّ أن أشاهد السماء

أحب أن أعانقَ السماء

نجومها روائع الجمال

مرايع الخيال

تحنو على المحزون آسيات

وترشدُ الضليلَ هاديات

يسلو بها العاشقُ بعضَ الجوى

والشاعرُ الغريبُ حرَّ النوى

لا تحرميني رؤية السماء

لا تحرميني رؤية السماء
أحبّ أن أشاهد الضياء
في بسمة الفجر الوليد الصبح
يشرق في الجو الندي الفسيح
يُلبسه معاطف الأرجوان
ينثرُ فيه الورد والأقحوان
يكلّل الجبال بالنضار
وبيعث الحياة في القفار
لا تحرميني رؤية السماء

=

أحبّ أشاهد العصفور في الأغصان
يرقص في أفيائها مغرّداً نشوان
يلعب العصفورة الطروب
يلحق الفراشة اللعوب
أحبّ أن أشاهد الأزهار والأشجار
أحبّ أن أشاهد الغيوم والأمطار
لا الباب والجدار!.....

الشعاع الرسول

كولومبو ١٩٧٢

(كانت الطائرة تتجه بنا من كولومبو سيرلانكا- نحو بكين..
نحو الشرق الأقصى بينما كانت الشمس تميل نحو الغرب
نحو مسقط الرأس في الوطن الحبيب)

يا شعاعاً نحو المغيب يميل=متعباً، هدّة المسير الطويل
سوف تلقى أهلي هناك، وصحبي=وصغيراً مع الصغار يجول
وحبيباً تحن روعي إليه=مثلما حنّ للشفاء العليل
علّة، مثلما عهدتُ، مشوقٌ=مبسمٌ شاحبٌ، وطيفٌ نحيل

=

سوف تلقى أرضي هناك وداري=فالرّوابي تنهدّ وهديل
والصحاري نشوى بمجد قديم=فصهيلٌ أنفاسها وصليل
إن يكن راعها الدخيل ففيها=ألف ذكرى يُراعُ منها الدخيل

=

قَبْلِ الدار والأحبة عَنِّي=يا رسولي وأنتَ نعم الرسول..
وإذا عدت في الصباح إلينا=ورنا طرفك الكحيل الجميل
فلعلِّي في مقلتيكَ ألقى=ما يلاقي من الخليل الخليل
بسمه، أو تحية أو عتابا=يا شعاعاً نحو المغيب يميل

بابا نويل

"بابا نويل" بسيره المتعثر=وغرابة المتفضل المتنكّر
بالأمس جاء يزور صبية حيناً=والبعض بين مطبّل ومزمرّ
هذا يمدّ إلى الهدايا كفه=متطاولاً من فوق ظهر الأكبر
ويدور ذاكَ محاولاً خطف الدمى=من سلّة الشيخ العجوز المدبّر
وتعالّت الضوضاء بين مهاجم=ومدافع ومعقّر ومكشّر
هذا يفركشه صغير طامع=ويلوذ آخر بالدموع ويفتري

فتنهدّ الشيخ العجوز مهمهماً=ما بين لهجة معاتب ومعنتر
هذي الهدايا لن يفوز بنيلها=من لم يسجّل اسمه في دفترى

"معيد"

حيّ القصور وداعاً

حيّ القصور وداعاً=فقد حزمنا المتاعا
وفي غدٍ سوف نمضي=كما أتينا سراعا
فقد سئمنا التشكّي=وما رجونا استماعا
والصبرُ ظلّ عقيماً=والخرق زاد اتساعا

غداً سأقصد حياً=مهلهلاً يتداعى
الناس فيه رعا ع=وما أحبّ الرعا عا
والبيت ما زال طيناً=والدرب ما زال باعا
فلا نداءات "بويا"=ولا كلابٌ جيا عا
ولا سماجة بوق=ولا الهدير تبا عا
ولا حفائر، زادت=عمىً وزادت صدا عا

يا حيّ ما زال بيتي=كما علّمتَ شرا عا
يطوف بي حيث أهوى=وحيث شئتُ انتجا عا
فلن أطيق فؤادي=للنكرزات مشا عا

(را حل)

الخرج

لنا جارٌ بسيط القلب لكنّ=بساطته مغلّفة بمكر
يقال بأنه من أهل حمص=وقال البعض من بلد المعري

=

مشى يوماً على كتفيه خرج=بديعُ الصنع من صوف وشعر
تزيّنه الذوائبُ والمرايا=وألوانُ كزهر الحقل تُعْري
فلا حقه الصغار.... فمن ضحوكٍ=إلى وجِلٍ... إلى "محراك شر"
كأنّ خليّة علقّت بدب=فمر متمتماً وانساب يجري
صغارٌ أبرياءُ فإن كبرتم=حملتُم كلّكم وزراً كوزري

له جَيْبٌ صغير من ورائي=وأخِرُ "كالزكبية" فوق صدري
عيوبُ الناس أجمعها أمامي=وكلُّ معائبي من خلف ظهري

"لافوتين"

الباكية

(اسطبل قديم، زُعم أن فيها قنبلة)

هَجَمُوا وصاحوا: "الباكية" = هذا طريق الباكية
هاتوا لنا مفتاحها = إننا نريد الباكية
وتطلعت فإذا همو = غير الرئيس ثمانية
متحفّزين منرفزين يهددون علانية
بسلاحهم بأكفهم بالدمدمات العالية
قالت لهم: أهلاً بكم هذا طريق الباكية
ومشوا يدٌ فوق الزناد وفي العتاد الثانية

دُهِشَ الزقاقُ ووشوشت جدرانهُ المتداعيةُ
ما هذه الأزياءُ ما هذي الوجوه القاسيةُ
ما هذه الخطوات، كالخيل الغضاب الغازية
وتردّدت أصدأؤها بين البيوت الخاوية
فتراكضت فوق السطوح ملائكٌ وزبانية
وتسمّرت خلف النوافذ والكوى المتهاوية
عينٌ تطلّعُ بارتياب خلف عين باكيةُ
وأشاح بعضهمُ يتمتم قابعاً في زاويةُ
ما زال رأسي سالماً ما للأمر وماليه

وتوقف المتنمرون ذوو الثياب الخاكيةُ
وتوتبت قطع السلاح بنقمة وكراهيةُ
وتردّدت بين الشفاه وفي الضلوع الصاديةُ:
الثار... فليحرق لهيبُ الثار هذي الباكية

البابُ من أخشاب أيام عناق باليةُ
أهوى، بلا جُهد تصيرُ - ضلوعهُ المتراخيةُ
لطم الجدار، فكاد يذهب والجدارٌ بداهيةُ
وترنّحت فيه قناطرٌ من عهود خالية
وتخبّط الوطواط في ظلماتها المترامية
قلِّعاً كأوراق الخريف بكف ربح سافية

وتقدّموا فوق الحجارة والصخور الثاوية
يتفحصون مع الظلام لغوزها المتواريةُ
متوجسين من القساطل والمدافي الغافيةُ
فكأنها مستودع الألغام هذي الباكية!
نبتوا ركام القش في حنقٍ وتبنّ الماشية

فتدافعت سحبُ الغبار كثيفة متعاليةُ
وعلى الجباه تراكمت وعلى الشفاه الراغية
وعلى الصدور، وفي النحور وفي المآقي الداميةُ
فتبرمت من نتنها حتى البيوت النائيةُ

ومع الغروب تسلّلو شبّحٌ يقود ثمانيةُ
لبسوا الدجى وتلاحقوا في مشية متوانية
فتحرّكت وتساءلت حتى الشفاه الواشية

ماذا تراهم يحملون عدا غبار الباكية؟

ماذا تراهم ينشقون عدا رياح الباكية؟

يا ربّ، إنّ هُمّ ارهبوا ظلماً جوار الباكِيّة
فاغفر لهم فلقد كفاهم ما لقوا في الباكِيّة

البعوضة والثور

حطّت على قرن ثور =بعوضة تتغنى
وأنشدت "سوف نمضي =إن كنتَ تتعب منّا"
فقال: أهلاً وسهلاً =لو زنت عشرين طنا
لكنّ صوتك يؤذي =فابقي ونحيه عنا !

العربة والذبابة

مضت الجياد تجر مركبة= في مهمه متعرج صعد
الدرب يرهقها ويلهبها= ذو خافق أقسى من الصلد
وإذا بصوت ذبابة هرعت= عجلت لنصرة ذلك الجهد
طوراً بضجتها وآونة= بالوخز في العينين والجلد
حتى إذا مال الطريق إلى= سهل كبطن الكف ممتد
وقفت تطن بكل قوتها:= وحدي أنا أوصلتها، وحدي

"لافونتين"

حاميا حراميا

لطمت على الخدين طاهية= وتطلعت في الدرج محتارة
لما رأت آثار قاضمة= في جبهة بيضاء مختارة
جاءت وألقت فيها هرثها= لترد عنها نكبة الغارة
لكنها عادت فما وجدت= لا الجبنة البيضاء ولا الفارة

عتاب اللصوص

شقيّان مرّا بشيخ عجوز على فرس بالهوا تعثُر
وفي خرجه زاد قومٍ صيام جياعٍ، وشمسُهُم تُدِيرُ
فصاحا، ترَجَّلْ ولما أبى رماه المسدسُ والخنجرُ
ومالا على الخرج فاستأنسا بزاد، ولكنّ دماً يقطر
فمدّ يدا أحدُ المجرمين فأوقفه المجرم الآخر
وخاطبه عاتباً غاضباً أقبلَ آذان العشا تُفطِر؟

إما هذا وإما ذاك

فقيران، كهلٌ وخطّ الشيبُ رأسه=وهيفاء رغم البؤس تُغري وتفتنُ
أحسّ بها ميلاً لصبِّ مَنَعَم=وظنت بأن الشيخ ما كان يفطن
فقال لمن تهوى: دع البذل واقتصد=أرى الشيخ يكفيه الرغيف المعقّن
فامسك حيناً فانثنى الزوج ناصحاً=أرى الأمر يا بنت الأكارم يُحزن
فإما اعوجاج يسترّ اللحمُ عاره=وإما على الزيتون والعرضُ صيّنُ

العجوز والعلك

وهبوا عجوزاً مرة=علكاً بلون السكره
فرمته في السهل الفسيح=وانشدت متذمرة
تعبُ لأسنان العجوز=وخيبة في الحنجرة

القرد والمهر

ركب القردُ مرة مَثَنَ مهر=خَصَّهُ بالرضا وحُسْنِ وِلائِهِ
فرأى بعضهم يسوق حماراً=لا يبالي بعجزه وعيائه
قال: لا بأس إن حَثَّتُ جوادي=فهوى بالعصا على أحشائه
قفز المهر ثائراً مستشيطاً=فإذا القرد غارق في دمائه

الحصان والذئب

مرّ الحصان بذئب صاده شركّ=من الحديد فألقى بادي الحرّ
عوى وكشّر عن أنيابه غضباً=وبين جنبه نار الحاقد النكد
فقال صاحبنا والحلم شيمته=رفقاً بنفسك يا سرحان واتند
ما كنت أخشاك والميدان متسع=فهل أخافك في الأغلال والزرذ

الجرذان وخابية الحلوى

ألفى بنو الجرذان خابيةً = فيها مربى التين والرطبِ
لكنه ما حققوا أرباً = إلا بحيلة فثية نُجِبِ
ادلّوا ذبولهمُ وكم فرحوا = بحلاوة تأتي بلا تعب
وإذا بصوت فويرة تركت = تلك الجموع، تصيح في غضب
ما هذه الأعمال من شيمي = تعب بلا شبع ولا طرب!
فتطلّع الجرذانُ كلهمُ = فإذا بها مقطوعة الذنب!

الصيد والكلب

طارد الصيادُ ظبياً فوق مهر=يسبق الريحَ ربيبِ الفلوات
مسرعاً خلف سلوقيّ له=ضامرِ الخصرِ عظيمِ الوثبات
امعنوا في العَدوِ والشمسُ لظى=ورمال البيد شبهُ الجَمَرَات
وإذا بالظبي يهوي فجأةً=يجرع الموتَ مريّرَ السكرات
وتردّي الكلبُ والمهر معا=فانثنى الصيادُ يُبدي الحَسَرَات:
رحمَ الله جوادي إنني=سقتُهُ بالسوطِ سوقاً للممات
وعفا عن ذلك الظبي الذي=فرَّ من وَفَع السهامِ القاتلات
إنما هذا السلوقي فما=مات إلا في الأذى والمخزيات
لست أدري ما الذي يدفعه=طبعُهُ أم طمَعُ في الفضلات؟!

الموظف

قالوا: الموظف قلت:=طابهُ لا مستقرّ ولا مهابةُ
حيناً يُدَحْرَجُ في الحضيض=وتارة فوق السحابةُ
إن يحضنوه إذا هوى=فلطالما لبطوا جنباه
واللاعبون فنونهم=بين الدعابة والغرابه
هذا "يشوط" بجدةٍ=ويلوك من حنق سبابه

ويروغ ذاك مناورا=ويروح يلتمس الإصابة
وسئلتُ كيف نُريحهُ=فأجبت: لا أملٌ لطابهُ
إلا إذا تَلَقَّتْ أو انفلقتُ=أو انقلبتُ ربابهُ!

في شوارع العاصمة

يا واضعَ القانون، لا يمشي النظام بغير رادعٍ
لا ظالمٌ متعسفٌ أو واهنٌ الأعصاب مائع!

=

ماذا على القلم المشرّع لو تجوّل في الشوارع
ورأى الطنابر والرواحل والمواشي والروافع
والنافثات دخاتها فوق المخازن والبضائع
والمالئات صدورنا سُمَّاً من الماوزت نافع
والعابرين بلا اهتمام بالحواجز والموانع
لا حُمْرة الأنوار توقفهم ولا التصغير نافع...

=

ومواقف الباصات تحسب أنها بعض المعامع
يتدافع الركاب فيها بين منزلق وطالع
الشيخ يدفعه الفتى والأم "يدفشها" المصارع
ويزمر التكسي ويقنع بالثلاثة دون رابع..
ويتمتم المتدافعون على الرصيف وفي الشوارع
لم هذه الأضواء شاعلة وضوء الشمس ساطع
ولم المسامير الضخام - كأنها بعض القواقع...
ولم التسلل بينها والشارع الفتان واسع

=

يا واضع القانون، لو بعضُ الغرامة للممانع
لارتاحت الفيحاء من فوضى كأعياد المرافق

حي القصور

حَيِّ القصور سَكنا=لما عن الأهل بَنَّا
في جَوْه الطلق نرجو=برء الفؤاد المعنَّى
وراحةً وهدوءاً=ومنزلاً مطمئناً
والجار نسأل عنه=إن شاء يسأل عنا
فلا يُكَلِّفُ شايًا=ولا نُكَلِّفُ بَنَّا
لا راغبٌ إن هَجَرنا=أو عاتبٌ إن قَطَنَّا
ما همُّه أين رحنا=يوماً ولا أين كنا

لكنُ رمتنا الليلي=بغير ما نتمنى
ففي المساء هراش=جماعةً ومثنى
من كل جنسٍ كلاب=تطيّر النوم منا
وتملأ الطفل رعباً=وتستفز المسنا

وَمَنْ تَأخَّرَ لَيْلًا لَكَ فَكَمْ تَمْنَى الْمَجْنَا ١
يَقِيهِ نَابًا مَشُوقًا إِلَى الْغَرِيضِ وَسْنَا ٢
وَكَمْ فَتَى مُسْتَخِفًّا فِي اللَّيْلِ ضَجَّ وَغْنَى
أَوْ رَاحَ يَضْرِبُ بَوْقًا حَتَّى تُطِلَّ (سُوزْنَا)
أَوْ قَائِلٍ: (نَحْنُ جِينَا) أَوْ مَارِحٍ: (حَلَّ عَنَا)

وَفِي الْغَدَاةِ زَحُوفٌ مِنَ الْجَحَاشِ تَغْنَى
يَكَادُ رَجَعُ صِدَاهَا مِنَ الْجَحَاشِ تَغْنَى
وَحَلْفَهَا يَتَنَادَى مِنْ زَادٍ فِي اللَّحْنِ فَنَاءً:
"فَجَلَّ" وَلُوبِيٍّ وَكُوسَى وَالْفُولِ وَالْقُرْصَعَتَا
(وَالْإِنْكَنَارِ أَرْضِ شُوكِي) (وَمَالِ يَبْرُودِ عَنَا...)
وَأَلْفَ لَحْنٍ وَلَحْنِ تَطْنٍ فِي الْجَوِّ طَنَا
تَضَجُّ مِنْهَا الْمَبَانِي تَطْنُ فِي الْجَوِّ طَنَا

وَبَائِعِ الْكَازِ يَمْضِي فِي سِيرِهِ يَتَأْتِي
حِينًا يَنَادِي وَحِينًا (زَمَّوْهُ يَتَغْنَى)
يُظَلُّ يَصْرُخُ حَتَّى نَبَقَ (بِحَصَّةِ حَنَّا)
وَتَمَّ أَصْوَاتُ بُوِيَّا تَرْنُ فِي الْحَيِّ رَنَّا
كَأَنَّ حَفْلَةَ (زَارٍ) تَقَامُ بِالْقُرْبِ مَنَا
يَا حَيُّ مَا أَنَا شَاكٍ وَلَا الْقَرِيضُ تَجْنَى
لَكِنْ حِكَايَةُ حَالِ أَتَى لَهَا الْحَلُّ أَتَى..

١ . المجن: الدرع

٢ - الغريض: اللحم الطري

(ساكن جديد)

قليط

قيل مالي أرى "قليط" عبوسا= كالحاً حاملاً من الوحل وزرا
يأنف الأنف أن يمر بشطّيه= وتمضي العيون تنظر شزرا
بعد أن فاض بهجةً وجمالاً= وعلى الربوتين سحراً وعطرا
يسبح البدر فيه بين الدراري= والصبايا بمائه تتمرّى
فأجاب النهر الذي خلّده= ألهاث الفنون نثراً وشعرا:

يا بَنِي هذه المدينة إني=لا أرى في نقيض حالِي سرا
كيف أصفو وكلّما اجتاز سيلِي=فيضَ بالوعة وقعت بأخرى

(قليط هو فرع من نهر بردى قليل المياه شديد الغدارة)

*

الكيس المجرم

كيس مهملات وجدت فيه مجلة زراعية تحمل في إحدى صفحاتها
صورة عبد الناصر.. فكان لا بد من عقوبة صارمة..
إذن، فليحرق كما حرقت جان دارك!!!

فوق السطوح رمادهُ
موقَّعٍ وشهادتهُ
بكل بيت عبادةُ
تنفيذ نصّ الإرادةُ

قال: احرقوه وذروا
وأرفقوه بضبطٍ
وأبعوه يميناً
بأنه تم فعلاً

حتى يذروا رماده؟!
وسيّداتٍ وسادةُ
وشاحنات **البيادة**
كيسٌ بحجم الوسادةُ
من تافه الخيش سواده
واهِ كرجل جرادةُ
أو ما يمس السيادةُ
والليل يُضفي سواده
يبث فيها فساده!
مجلة مستعادةُ
والشعبَ تحيي اقتصاده

من مجرم الحرب هذا
أمّام مفتي السرايا
وصافنات السواري
من مجرم الحرب؟ قالوا:
مهلهل النسج بالٍ
وثاقه خيطٌ صوفي
ظننتُ فيه حشيشاً
مما يوزع سرا
أو نشرةً من عدو
سألت قالوا: بقايا
تبني الزراعة فنّاً

بالقمح تُغني سماده
وقايئة وإفاده

لكن... فيها زيادة
وذكريات مُبادة

مَجْدًا وشِدْثُم عماده
واسكندرون مُعادة!

بالقطن حينا وحينا
وبالبساتين تُغني

مزدانة برسوم
فيها (لفرعون) رسم

إن تُحرقوها بنيتُم
حطين تُبعثُ فيه

الغيمة الخرقاء

غيمة فرّت وهامت = في مجاهيل السما
تلبس البدر وشاحا = وتناجي الأنجما
وإذا ما ظلّها الرطب على البید ارتمی
أبصرت قفرا رهيبا = لاهبا مستسلما
مُجذبا من كل ما يحمل نسغا أو دما
فحنت تغمره ظلا = وتحنو مبسما
وبكى مدمعها حزنا عليه وهمى
فاستشاط القفر غضبان = وكال التهما:
أنا يا خرقاء لا أحمد هذا الكرما
وانا قفر كفور = كاره حتى السما
كلما زادت عطاء = كلما ازددت ظما

زهرة الشوك

حَمَلَ الرِّيحُ زهرة الشوك يوماً=ورماها على جبين الرواسي
فرأتُ كالدمى بيوت القرايا=وبدا الحور حولها كالغراس
وبدا الناس في الدروبِ نمالاً=والدروبُ العِراضُ كالأمراس
طربت وازدهت وزادت عتوا=وانتشت بالفضاء من غير كاس
ومع الصبح عاد يحملها الريح=إلى المنبت القديم القاسي
غضبت ثم جدّفت ثم راحت=تلعن الريح والفضا والرواسي
لا تُغالي با زهرة الشوك في اللوم فَسَرَّجُ الرياح سَرَّجُ المآسي
لا خيارٌ لفارسٍ يمتطيه=بين درب السما ودرب الناس
وإذا جاور النجومَ لييبَّ=ظلّ للأرض أمّه غير ناسٍ

العید فی بکین والغریب

البدر فی السماء

صینة من فضة

وذهب وضاء

فی خيمة سحرية

شفافة زرقاء

* * *

لا غیم إلا سحب

كأنها غلائل الحریر

كأنها دخان سیجارة

وللنسيم الرطب وشوشات

تداعب الغصون

وللسكون روعة السكون...

فتخفق القلوب والجفون

لبهجة الضياء

ینساب شلالاً من السماء

وفرحة اللقاء

فی صفاء!...

* * *

والجدة العجوز

تبسم للأبناء والأحفاد

كوردة قديمة

تغمرها براعم الأوراد...

ويجلس الكبار، فوق الأرض، والصغار
دائرة بهيجة كأنها استدارة القمر
ليفرحوا.. ويأكلوا.. ويشربوا معاً
نحب اجتماع الشمل في صفاء
في الليلة السحرية القمراء

* * *

أما أنا فليس لي في غربتي جليس
وليس لي أنيس
إلا خيال شاعري حزين
يوقد في جنبي نار الحنين
فأغمض الأجفان
وتحرق الخدين دمعتان

* * *

عفوك يا بدر
إن أغفلت عيناى هذا السنأ
فإننى هنا! ...
لكن أفكارى وقلبى... هناك! ...

بكين ١٩٧٢/٩/٢٢

رجاء جديد

نسيتها، قصيدتي: رجاء
"لا تحرميني رؤية السماء!"
حرمتني إطلالة الصباح، يا فتان،
من جديد
ورؤية السماء في وشاحها
الملون الفريد.

* * * *

لا شيء في غرفتي الجديدة
يشعرني بأنني في عالم جديد
الباب مثل الباب، والسرير من حديد ! ...
والسقف مثل السقف، والجدران كالجدران
تغير الرِّقْم، وما تغيّر الدهان!...

* * * *

بلى !
تغيّرت إطلالة الشباك والفضاء
من ها هنا لا يولد الضياء
وإنّما يودّع الضياء !
وإن تبدت بسمة
في صفحة الأصيل
فإنها ابتسامة الرحيل
تحية الغروب
تحية المودع الكئيب

لعالم حبيب !

* * * *

لا يطربُّ العليلُ، يا فتانَ،

لابتسامة الغروب !

يُخزِنه أن يُخنقَ الضياءَ

ويُعلنَ الحدادُ في السماء !..

لكنه يطرب للصباح

لمولد الضياء من جديد

كأنما حياته تولد من جديد

* * *

فإن بدا الصباح في السماء،

ولا أرى مفاتن السماء..

فأقبلي، وسلّمي عليّ من بعيد،

فيُشرقُ الصباح في عيني مرّتين

من لحظ مقلتين

أحلى من الصباح مرتين

مشفى العاصمة بكين

أكتوبر ١٩٧٢

إلى الشهيدة ليو هولان

سيف الجلاد

رماً

ودم الأحرار

مناز

فالليل نهار

والموج على أقدام الصخر

غبار

* * *

لكني أحمل

في طيات الزهر

إليك

يا ليو هولان

من تربة سيناء والجولان

عطراً عربياً

مصبوغاً بدم الثوار

هل يفنى عطر مصبوغ

بدم الأحرار؟!

أغنية إلى تانشان

المدينة الصينية التي انتصرت على الزلزال

مثلما تنورّ زهرة المايهوا
في قلب العاصفة الثلجية
باسمة مشرقة، متحدّية
هكذا أنتِ يا تانشان
تنورين في قلب الكارثة
باسمة مشرقة، متحدّية

مثلما تخرج السنابل
من قلب الحبة الدفينة
نظيرة وفيرة العطاء
هكذا أنتِ يا تانشان
تخرجين من بين الأنقاض
نظيرة وفيرة العطاء

مثلما يندفع الفولاذ
من قلب المصهر الرهيب
أشدّ إشراقاً
وأكثر صلابة
هكذا أنتِ يا تانشان
تندفعين من لهب المحنة القاسية

أشدّ إشرافاً

وأكثر صلابة

قلوبنا تحييك

وأيدينا تضمّد جراحك

منك نتعلّم

وبمآثرك نتغنى

أيتها المدينة الباسلة

المجسّدة لروح الإيثار

والصمود...

يا تانشان

في الجبل العطريّ

ظلالٌ ونُورٌ
وعِطْرٌ نديٌّ
وطيرٌ شجيٌّ
وماءٌ طهُورٌ
يُغْنِي
فيُطْرِبُ حتى الصَّخُورُ
وتَرَفُلُ في أَلْفِ لَوْنٍ ولونِ
سفوحُ التلالِ
ويسري الخيالُ
بعيداً بعيداً...
ويبدو الخريفُ
ربيعاً جديداً
ويبدو المشيبُ
شباباً جديداً

أيلول ١٩٧٤

الله والغريب

يا ربِّ، لا تُغْمِضْ جفوني هنا

هنا، قلوبُ الناس بيضاء

وأرضُهُمْ ماءً وأفياء

لكنَّ بي شوقاً إلى أرضي

لجبل الريان والساحل

ألقي عليه نظرةً الراحل

كفُّك لا تقسو على قلبي

ما بيننا حقدٌ ولا نارٌ....

لم ترني يوماً بمحرابك

أتلو صلاتي ساجداً راکعاً

لم أذبح الخرافَ في الأعياد

لم أحرق الشموعَ في الميلاد

لكنما كانت صلاتي إليك

وشوشةً الأنسام للأقاح

ترنيمَةَ الأطيَّار للصباح

دَعْنِي أعش يوماً أخيراً هناك

حيث أحبائي

والذكريات الحلوة المرّة

طفولة شقية شاردة

وزهرة الشباب

تنوشها السياط والحرب

لأنها لا تمنح العطر

لغاصبٍ، أو دميةٍ أو صنمٍ

يرفض أن يسمع إلا نعم

وعندما كلل راسي المشيب

رأيتني أحمل عكازي

أتابع السير على دربي

تزحمني مواكب الراكضين

لا يسألون الدرب من عبده

والمشعل الوضاء من أوقده

يا ربّ، لم أحقد ولم أندم

ألا ترى قلبي بلون الثلوج

دعني، إذن، أغمض جفوني هناك...

حيث أحبائي

يذرفون الدمع لونَ الدماء

ويعرف الرجال طعم البكاء

(فكان له ما أراد... ورحل فجر اليوم التالي لوصوله إلى الوطن.....)